فى الريف

بقلم عبد الرحمن فهمى

ليسانسيه فى الآداب

اذا أردت أن تمتع النفس بجمال الطبيعة فانك لست واجداً هذا الجمال فى المدينة لأنها دائمة الصخب والضجيج ، مشتبكة المصالح العامة والخاصة بشباك يتعذر على المرء الولوج منها الى حيث الحرية الطبيعية التى وهبها الله عباده . ولا شك أن المدنية أحد العوامل التى أرخت ظلها الثقيل على جمال الطبيعة فى المدن . بل إن هذه المدنية نفسها هى التى اضطرت ابن الطبيعة إلى أن يعقها إرضاء لشهوة المادة ، حتى إذا سئم حياة المدينة — وسرعان ما يملها لأنها حياة مضنية للعقل والجسد — تطلع إلى الطبيعة وارتمى فى أحضانها إلى أن يرتوى بهائها .

وجمال الطبيعة فى مصر يتجلى فى الريف والصحراء والبحر بصورة جلية واضحة ، وقد ذقت لذة الجمال فى كل فطبت نفساً بهدوء الريف وسذاجته ، وأخذتنى روعة الصحراء ورهبتها ، ورقصت مع أمواج البحر وأعجبت بعظمته ، ولكنى لم ألق جمالاً أكثر تأثيراً فى النفس مثل جمال الريف الطبيعى .

ولا عجب إذ ترانى أقضى بعض أوقات فراغى فى قريتى بالمنوفية وهى قرية صغيرة بحجمها كبيرة بتاريخها ، ومن أبنائها العالم الكبير ، والوزير الخطير ، والمدير القدير ، ونسبة المتعلمين فيها طيبة . فاذا حللت بها نسيت كل شىء إلا الجمال : فهذه حقول واسعة تتزيا فى كل موسم بلباس خاص قد يكون أخضر سندسياً مسترسلاً موشى بالأبيض اللامع والأصفر الفاقع فى موسم البرسيم الجميل ، وقد يكون ذهبياً براقا عند ما تنضج سنابل القمح والشعير إيذاناً بالبركة والخير الجزيل ، وقد يكون أبيض صافياً عند ظهور وبر القطن ثروة القطر وأمل الجميع ، وقد يأبى هذا اللباس إلا أن يكون ذا خطوط متقاطعة أو متوازية عند إطلاق الماء فى المصارف قبل أن ينبت الزرع . وهذه دور ساذجة تقرأ فيها كل أخلاق القروى من بساطة العيش ووداعة النفس وشىء من الدهاء مقرون بالسذاجة ، ونوع من الاهمال ممزوج بالجهل ، يشرف على هذه الدور جميعاً مئذنه مسجد صغير ينبعث منها كل وقت صلاة صوت مسترسل عذب يدعو المؤمنين إلى ربهم .

ويعجبنى جمال الخلق الذى عفا معظمه فى المدن ، فالفضيلة لا تزال حافظة لكيانها فى القرية ، فلا بغاء ولا فحش ، ولا يمكنك أن ترى قروياً ثملا فى أحد طرق البلدة ، بل إن أغلب القوم متمسكون بالعروة الوثقى . والشرف ظاهر فى جوانب الحياة . الكرم والسخاء صفتان ملازمتان للقروى والقروية .

توقظك فى الصباح الباكر صيحات الديكة المتناوبة ، وزقزقة العصافير المرحة ، فاذا أطلت الشمس من خدرها مؤذنة بالحياة والكد والعمل ، خرج الفلاحون من دورهم إلى حيث انعامهم فجهزوها ورووها بالماء وقادوها إلى العمل طوال النهار ، ويعطف القروى عليها ويحنو ، عطفاً كبيراً وحنواً زائداً ، ولا عجب فهى ذراعه اليمنى التى يعتمد عليها فى حياته ، تطعمه وتهيىء أرضه للزرع .

ينعم الفلاحون فى الحقل بكثرة العمل ونقاء الهواء وضوء الشمس إلى أن يؤذنهم غروبها بوجوب العودة إلى دورهم وهم فى ذلك أيضاً أول ما يعنون به بهائمهم يقودونها إلى حظائرها وينثرون أمامها التبن والفول أو البرسيم والعشب ، أما هم فتمد لهم ألوان الطعام على الأرض وهو طعام دسم كثير وهو الوجبة الوحيدة التى يعتمدون عليها فى غذائهم فضلاً عن وجبة أخرى أو وجبتين من الخبز والجبن المخزون .

وفى العشية والمساء يجتمع أهل القرية جماعات فى البيوت أو خارجها على المصاطب يتسامرون ، أو يهيئون صفقة بيع أو يتفقون على رى قطعة من الأرض بعد قطعة ، أو يصلحون بين متخاصمين وتلحظ عليهم جميعا روح المعاونة والحب .

وعلى ضفة النهر الذهبية برملها المبلور اللامع ترى الفتيات النواهد الحسان كلهن فى جلابيبهن السوداء قد بدون سافرات الوجه فى زينة طبيعية جميلة ، وما أجمل الوجه القروى الناعم الذى لم تعمل فيه يد صناع ! وقد حملن فوق رؤوسهن الجرار ، هذه تغسل جرتها وقد ارتسم جسمها الجميل على صفحة الماء الصافى ، وتلك تغترف من الماء ما هى فى حاجة اليه ، وضفة النهر فى هذه الفترة من كل يوم فى نظرى ناد لأولئك الفتيات يتقابلن فيه ويتحدثن

عنده ويستعرضن يومهن الذى خلا ، وقد يغنين بصوت متناسق جميل أناشيد قروية طريفة :

وأظهر ما تلحظه فى القرية اليوم نوع من الركود المالى ، فبعد أن كانت عقب مواسم الحصد نشطة بحركة بيع المحصول بالأثمان العالية أصبحت متأثرة بالأزمة ، فأسعار رزق الفلاح رخيصة ، وديونه كثيرة ، وموارده قليلة ، وقد نتج عن هذا هجرته الى المدينة باحثاً عن عمل يلقى منه أجراً يومياً أو راتباً شهرياً .

وتقام فى القرية رغم هذا سوق أسبوعية تعرض فيها أنواع التجارة فيبتاع القرويون ما هم فى حاجة اليه من أقمشة أو بضاعة . ويبيعون ما هم فى غنى عنه من الغلال أو الطيور أو الزبد . ويفد اليها كثير من أبناء القرى المجاورة يبتاعون ويبيعون .

ومنذ بضع سنوات لم يكن بالقرية محطة للسكة الحديدية ، أو دار للشرطة ، أو مكتب للبريد والبرق ، وإنما كان المسافرون يحتملون عناء السفر بركوب ظهور الدواب ومتن النهر الى أن يصلوا الى محطة بعيدة يستقلون منها القطار ، وكان ساعى البريد الجوال يصل الى القرية كل يوم على حماره فينفخ فى بوقه فيهرع القوم اليه ويقرأ عليهم الأسماء فيتناول منه كل صاحب رسالة رسالته ، أما اليوم فأسباب المواصلات موفورة .

ويثلج صدرك بعض الشىء أن ترى بالقرية اليوم مكتباً للتعليم الالزامى ، وفكرة ناضجة فى النفوس عن خطر الأمراض لا سيما (الرمد ، والبلهارسيا ، والانكلستوما) وغيرها ، ورأيى أن أفضل ما تقوم به حكومة مصرية هو ترقية شئون الفلاح وأحوال القرية ، لأن الفلاحين هم كثرة سكان مصر ، ولأن القرية هى مورد ثروة البلاد الأساسى .

عبد الرحمن فهمى

قصص اجتماعية ونماذج من أدب الغرب

مجموعة مختارة من القصص الرفيع لطائفة من أعلام الأدب الفرنسى فى ٣٠٠ صفحة طبع دار الكتب

مترجمة بقلم محمد عبد الله عنان المحامى

خفض ثمنه لمناسبة الاجازات من ١٠ إلى ٨ قروش (عدا البريد) يطلب من المترجم رأساً بشارع الساحة نمرة ٢٩ — تليفون ٤٤٦٨٣

٣٠٢

٦ ـ أعيان القرن الرابع عشر

للعلامة المغفور له احمد باشا تيمور

السيد على البيلاوى

المالكى

هو على بن محمد بن احمد المالكى الحسنى الادريسى من بيلاو ، قرية تابعة لعمل ديروط الشريف التابعة لمديرية أسيوط ، ولد بها فى شهر رجب سنة ١٢٥١ ونشأ بها فحفظ القرآن ومبادئ العلوم وحضر للأزهر سنة ١٢٦٩ فقرأ به على شيوخ وقته كالشيخ محمد عليش ، والشيخ منصور كساب ، والسيد محمد الصاوى ، والشيخ على مرزوق ، والشيخ ابراهيم السنجلق ، والشيخ احمد الاسماعيلى ، والشيخ محمد الانبابى ، والشيخ على بن خليل الأسيوطى ، وكان له به نوع اختصاص فى الحضور ، وصحب مدة حضوره الشيخ حسونه النواوى ، فكانا يسكنان معاً ، ويحضران معاً الدروس إلا فى درس الفقه فان المترجم كان مالكياً والشيخ حسونه حنفياً . ولم يزل يجد ويجتهد حتى تأهل للتدريس فدرس بالأزهر والمسجد الحسينى الكتب المتداولة ، وفى سنة ١٢٨٠ سافر للحجاز فحج ، ثم استخدم بدار الكتب الخديوية بالقاهرة مغيراً ، حتى كانت الثورة العرابية ، واتجهت الأنظار لتنصيب المصريين فى المناصب الكبيرة فساعده صديقه ومريده محمود سامى بلشا البارودى على اقامته ناظراً على هذه الدار سنة ١٢٩٩ فتمت له نظارتها بعد ما سعى كثيرون لها فلم يوفقوا .

ثم لما هدأت الأمور وأطفئت الفتنة كان المترجم يتوقع القبض عليه كما فعل بكثيرين للعلم بأنه من صنائع البارودى ، ولكن الله سلمه ، ولم يشأ الخديو أذاته لاشتهاره عنده بالصلاح والتقوى والبعد عن الفتن فاكتفوا بفصله من دار الكتب وجبروا خاطره بالخطابة فى المسجد الحسينى ، ثم جعل شيخاً لخدمة هذا المسجد فى ثانى صفر سنة ١٣١١ . ولما غضب الخديو على السيد توفيق البكرى نقيب الأشراف وشيخ الطوائف الصوفية وأمره